جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

تجلّيات نقد النّقد في الخطاب النّقدي الجزائري "حبيب مونسي أنموذجا"

Manifestations of Criticism of Criticism in Algerian Critical Discourse: Habib Mounsi as a Model

فدوى كريم[1]
f.krim@cu.maghnia.dz

سمير زياني [2]
ziani13300@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2025/01/27 تاريخ النشر: 2025/09/15
Received: 27/01/2025 published: 15/09/2025

ملخص المقال :

يعدّ نقد النّقد من المجالات الأساسية في الحركة النّقديّة الأدبيّة قديمًا وحديثًا، وخاصةً في العصر المعاصر حيث نال الاهتمام من طرف العديد من النّقاد الّذين قاموا بتبني مجموعة من الدّراسات في هذا المجال، سواء على المستوى النّظري أو التّطبيقي، والنّاقد حبيب مونسي من بين النّقاد الذين اشتغلوا على نقد النّقد، حيث تمحورت دراساته في هذا المجال حول الممارسة التّطبيقيّة لنقد النّقد دون التّنظير له، متخذا منه درسا يُعتمد عليه في قراءة وتفسير النّظرية النّقدية العربيّة، هذا ما نجده في مؤلّفه الموسوم ب "نقد النقد المنجز العربي في النّقد الأدبي، دراسة في المناهج" حيث عرض فيه تحليلا نقديا معمّقا للممارسات النقدية العربية الحديثة مسلّطا الضّوء على تطوّر النقد العربي من القراءة العربية القديمة التي اتّسمت بالانطباعية إلى النقد الممنهج الذي تبنّى المناهج الغربية السياقية والنّسقية، فيا ترى هل استطاع مونسي تقديم إضافة نوعية لنقد النقد؟

كلمات مفتاحية: تجلّيات، نقد النّقد، الخطاب النّقدي ، حبيب مونسي.

Abstract:

Criticism of criticism is one of the basic fields in the literary critical movement, both ancient and modern, especially in the contemporary era, where it has received attention from many critics who have adopted a set of studies in this field, whether at the theoretical or applied level, and the critic Habib Mounsi is among the critics who have worked on criticism of criticism, as his studies in this field focused on the applied practice of criticism of criticism without theorizing it, taking it as a lesson to rely on in reading and interpreting Arab critical ,
this is what we find in his book entitled “Criticism of Arab Achievements in Literary Criticism, a Study of Methods,” in which he presented an in-depth critical analysis of modern Arab critical practices, shedding light on the development of Arab criticism from ancient Arab reading, which was characterized by impressionism, to systematic criticism that adopted Western contextual and systematic methods, theory I wonder if Munsey was able to provide a qualitative addition to criticism?

Keywords: Manifestations, criticism of criticism, critical discourse, Habib Mounsi.

(1) مخبر المعالجة الآلية للّغة العربيّة، المركز الجامعي مغنية (الجزائر).
(2)المركز الجامعي مغنية (الجزائر).

مقدّمة:

إذا كان النّقد الأدبي تعبيرا عن تلك الممارسات الواعية التي تتناول النّصوص بالتّحليل والمقارنة، فإنّ نقد النّقد يتّخذ من حقل النّقد ذاته موضوعا للاشتغال والقراءة، وهو بذلك قراءة للقراءة الأولى، ونصّ ثالث على نصّي الأدب والنّقد. وإذا كان لنقد النّقد حضور في التّراث العربي على الأرجح في تلك الرّدود النّقدية، فإنّ تبلوره في العصر الحديث جاء نتيجة المثاقفة النّقدية مع الغرب، ونتيجة تعمّق الوعي المنهجي والمعرفي، حيث بدأ كممارسة ثم تحوّلت إلى حضور مصطلحي، ثم إلى نظري في الإطار المفاهيمي، وما يتصل بذلك من قضايا الميتا نقد وإشكالياته الإبستمولوجية وممارساته المختلفة، وقد انقسمت جهود الفاعلين في نقد النّقد في المشهد العربي بين دراسات نظرية، وأخرى تطبيقية، وثالثة تجمع بين المؤرّخين.

ويعتبر حبيب مونسي من أبرز النّقاد الجزائريين البارزين الذين أسهموا في إثراء السّاحة النّقدية في مجال نقد النّقد بجهوده الرّصينة خاصة المنصرفة منها إلى دراسة الفكر النّقدي العربي، وهو ما يعكف عليه هذا البحث الموسوم: "تجلّيات نقد النّقد في الخطاب النّقدي الجزائري: حبيب مونسي أنموذجا"، و قد قصدنا من وراء ذلك تسليط الضوء على ظاهرة نقد النّقد عند هذا النّاقد باعتباره أحد الدّارسين الذين أثّروا السّاحة النقدية الجزائرية بمؤلفاتهم وأبحاثهم المتخصّصة في هذا المجال خاصة في كتابه " المنجز العربي في النقد الأدبي ، دراسة في المناهج" الذي عرض فيه القراءة النقدية للممارسة النقدية متسائلا من خلالها عن مدى وعي النقاد العرب بأدواتهم، وعن علاقتهم بالمناهج الغربية.

ولعلّ من أهم الإشكالات والتّساؤلات التي تطرحها هذه الدّراسة وتسعى للإجابة عنها هي: ما تجلّيات التّنظير والتّطبيق لنظرية نقد النّقد عند النّقاد الجزائريين؟ وما هو موقع تجربة حبيب مونسي في مسيرة نقد النّقد؟ وإلى أي حد نجح مونسي في تقديم تصوّر نقدي يعيد مساءلة الخطاب النقدي العربي؟ وماهي الآليات التي اعتمدها في تحليل المنجز العربي؟ وقد تمّ تقسيم هذا العمل وفقًا لمتطلبات منهجيّة إلى عناصر تشمل مقدمة، عرض، وخاتمة. حيث ركّز العرض على فهم مفهوم نقد النّقد، وتحليل الخطاب النّقدي في الجزائر، وأخيرًا نقد النّقد عند حبيب مونسي من خلال كتابه " المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج".

نقد النّقد وتجلّياته في المشهد النّقدي الجزائري:

حاول النّقد الجزائري في العصر الحديث مواكبة الحركات النّقدية العربيّة والعالمية، واستطاعت تلك الجهود الّتي قام بها النّقاد الجزائريون أن تُسهم بشكل وآخر في تقويم النّص الأدبي، وتفسيره وفق مقاربات عديدة، بل خضعت حتى المدوّنات النّقدية نفسها إلى قراءات متعدّدة، تحت ضوء ما سمي بنقد النّقد.

1.2 مفهوم نقد النّقد:

نقد النّقد نشاط فكري يروم دراسة الخطابات النّقدية وتحليلها، وهذا ما يُعدّ جزءا أساسيا من الحركة النّقديّة الأدبيّة، سواء في العصور القديمة أو في العصر الحديث، ويهدف هذا المجال إلى إعادة تقييم وتحليل المفاهيم والنّظريات الأساسية للنّقد الأدبي، بالإضافة إلى استلهام أفكاره من الدّراسات النّقدية السّابقة، وإغناء التّفكير النّقدي بمفاهيم جديدة، وتفسيرات متقدمّة، ومع أن هناك الكثير من الأعمال العربيّة الحديثة التي تتناول هذا الأمر، إلا أنّها لم تقدّم تعريفًا واضحًا لنقد النّقد أو إجراءاته، مما يجعل هذه

الوضعية موضع تساؤلات كثيرة، وهذا ما أشارت إليه نجوى القسنطيني في قولها: "قد بدت وضعية نقد النّقد في عصرنا مثير للسّؤال من وجوه عدّة، فأكثر من ناقد ينبّه إلى وجود نقد النّقد، ويحدّد موضوعه، وعلاقته بالنّقد ويذكر فعله في أنساقه ودوره في مراجعته وتقويمه، غير أنّ ذلك لم يقر لنقد النّقد موقعا بارزا في مجال الفكر، ولم يوسّع عملية التّعريف به، ولم يهيّئ جهازا نظريّا يوضّح بنيته المفهومية، ويحدّد معالمه ويكشف عن ظهوره"(القسنطيني، 2009، صفحة 35).

ويشير هذا القول أنّ وضعيّة نقد النّقد الحالية بحاجة ماسة إلى المزيد من الاهتمام الأكاديمي، والتّنظيم النّظري، بحيث أنّه على الرّغم من أهميّته في تحليل النّقد الأدبي وتقييمه، فإنّه لم يحصل بعد على التّقدير والاعتراف الكافيين، حيث يتطلّب هذا المجال تطوير إطار نظريّ واضح ومحدّد، يساهم في فهم بنيته المفاهيمية، ويعزّز دوره في السّاحة الفكريّة.

2.2 تحليل الخطاب النّقدي في الجزائر:

لقد حفل النّقد الجزائري بالعديد من الجهود الّتي التفتت إلى الميتا نقد، حيث حاول العديد من الدّارسين رصد هذه الظّاهرة الجديدة، وتأصيل مسألة خطاب "نقد النقد"، ومن أبرزهم "عبد الملك مرتاض"، الذي قدّم دراسة شاملة في كتابه "نظريّة النّقد"، حيث استعرض فيه الإرهاصات الأولى لهذا الخطاب في الثّقافتين العربيّة والغربيّة، ففي الثّقافة العربيّة مثّل لعبد العزيز الجرجاني وطه حسين، أما في حديثه عن الثّقافة الغربيّة فقد وقف عند نماذج لرولان بارت وتزفيتان تودوروف، واعترف مرتاض بحداثة هذا الخطاب في السّاحة النّقدية العربية، مشيرًا إلى أنه غالبًا ما يقتصر على إصدار أحكام تقليدية تستحسن النّص أو تستهجنه، وتبيّن مواطن القوّة والضّعف فيه، معتمدة على الانطباعات الشّخصيّة والقراءة الأوليّة للنّص النّقدي (مرتاض، 2005، صفحة 230).

ويفضّل عبد المالك مرتاض استخدام مصطلح "قراءة القراءة" بدلاً من "نقد النّقد"، مشيرًا بذلك إلى النّقد الذي يُقارب النّقد الأوّل، أي الذي يُكتب حول الكتابات النّقدية السّابقة، ويتألف من تحليل آخر يقوم على النّقد الذي سبقه، حيث يتناغم هذا المفهوم مع فكرة التّعاقب والتّداخل بين النّصوص النّقديّة بدلاً من التّركيز على تحديد القيمة ، ويعكس تحليل مرتاض تعقيد الطّبقات النّقدية وتداخلها، حيث يصبح كلّ نقد بمثابة قراءة ثانية للنّصّ الأدبي الأصلي، مما يفتح المجال لنقاشات أعمق وأوسع في مجال الدّراسات النّقدية (مرتاض، 2005، صفحة 231).

كما نلمس في أعمال "محمد مصايف"، اشتغالاً على المدوّنات النّقدية، على الرّغم من غياب الأطر المنهجية لممارسة نقد النّقد، وعدم اكتمال رؤيته في هذا المجال، كما نجده يشير في كتابه "النّقد الأدبي الحديث في المغرب العربي" إلى دور الصّحافة في ترسيخ العمل النّقدي في الأقطار المغاربية، والتي تقوم حسبه على المفاهيم النّقدية القديمة، وترتبط روحا وعملا بالاتّجاه التّقليدي الّذي ظهر في المشرق العربي مع ظهور النّهضة الحديثة ؛ فضلاً عن ذلك قسّم مصايف المراحل التي مرّ بها النّقد في المغرب العربي إلى ثلاث اتجاهات رئيسية: الاتّجاه التّقليدي، والتّأثري، والواقعي، وقد استعرض مجموعة من المفاهيم المهمّة مثل الالتزام، وأخضع العديد من القضايا النّقدية للنقاش والتحليل، مثل اللّغة والذّوق (مصايف، 1984، صفحة 18).

تتجلّى جهود مصايف في استكشاف المقالات النّقديّة، وتحليل الآراء التي عرضها عبد الله ركيبي في نقده للمجموعة القصصية "بحيرة الزيتون" لأبي العيد دودو، حيث اعتبر مصايف أنّ ركيبي كان أوّل من أرّخ لظهور الاتّجاه الواقعي في الأدب الجزائري باندلاع الثّورة الجزائرية، في حين يرى ساري أن تلك الآراء لا تعدو كونها تحمل سمة مدرسية في أغلبها، خالية من العمق والتّخصيص. بالإضافة إلى بعض المقالات التي نشرها مصايف، وجمع بعضها في كتابه "دراسات في النّقد والأدب". وليس مستغرباً ألّا ينال نقد

النّقد حيّزاً مهماً في كتابة نقادنا الأوائل، حيث أنّ النّقد كان في بداياته ويشكل مرجعيته الأولى، ومن ثمّ فمن المنطقي ألّا يحظى نقد النّقد بنصيب وافر من الاهتمام في تلك الحقبة الزّمنيّة.

ومن أبرز الدّراسات النّقدية أيضا التي اشتغلت على نقد النّقد هي تلك التي قدّمها "يوسف وغليسي" في مؤلّفه "النّقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية"، حيث أصّل فيه للخطاب النّقدي الجزائري، مُحدّدا بداية النّقد المنهجي بفترة السّتينات، عن طريق أبي القاسم سعد الله في كتابه "محمد العيد آل خليفة: رائد الشّعر الجزائري في العصر الحديث"، الّذي يُمثّل نقطة انطلاق المناقشات النّقدية في الجزائر. والجدير بالذّكر أنّ وغليسي لم يستخدم مصطلح "نقد النّقد"، وإنّما عبّر عنه بمسمّى "القراءة اللاحقة"، ملاحظًا نقص هذا المفهوم بين الباحثين، "وما وجد منها إنما كان لا يتجاوز طقوس القراءة الأكاديمية النمطية التجمعية الجامدة" (وغليسي، 2002، صفحة 10).

ضمّت دراسة يوسف وغليسي مجمل المناهج وتطبيقاتها في النّقد الجزائري، حيث قسّمها إلى مرحلتين رئيستين: المرحلة السّياقية وشملت مناهج النّقد التّاريخي، والاجتماعي، والانطباعي، والنّفسي، والمقارن، والتّكاملي، والمرحلة النّصانية وتناولت النّقد الألسني، وكذلك النّقد الموضوعاتي والإحصائي، ومن بين المآخذ التي رصدها حول تطبيق المناهج النّقدية، ما لاحظه تداخلا للمتن الشّعري في عمل صالح خرفي، والتّعامل الأركيولوجي الذي استخدم فيه المنهج التّاريخي، حيث يتم التعامل مع النّص الأدبي كأنه مخطوطة بحاجة إلى تحقيق. بالإضافة إلى ذلك، أشار إلى التّطبيق الباهت للنّقد الاجتماعي من قبل من تبنّوا هذا المنهج. كما تناول وغليسي المصطلح النّقدي، مشيراً إلى تغيّبه في الدّراسات النّقديّة الجزائرية (وغليسي، 2002، صفحة 12).

لقد عرف خطاب نقد النّقد اهتماماً ملحوظاً من قبل الدّارسين الجزائريين، إذ يهدف هذا الخطاب إلى توعية النّقد بذاته وتفكيك مضامينه، من خلال إعادة تقييم أساليبه، واستعراض مفاهيمه، والتّدقيق في ممارساته، ومن خلال ذلك يتسنى كشف الثّغرات والعيوب، وتقديم تقييم للوضع الحالي للنّقد، ومدى مواكبته لتطوّرات الحركة الأدبيّة، إضافة إلى تحديد المناهج السّائدة، وأنواع الأدب التي يهتمّ بها النّقاد والمنظّرون.

نقد النّقد عند حبيب مونسي:

يعدّ حبيب مونسي من أبرز النّقاد الجزائريين الّذين خاضوا مضمار نقد النّقد، سواء في مؤلّفاته، أو في مقالاته العلميّة، حيث استطاع أن يُسهم مع غيره في التّأسيس لهذا النّمط الجديد في النّقد، الّذي ينطلق من مدوّنات نقدية، ويُقارب قضاياها ومناهجها، بعيدا على الإبداع الأدبي الّذي كان يشغله النّقد في البداية.

1.3 المصطلح والممارسة:

إذا نظرنا في العديد من المدوّنات النّقدية فإنّنا نجدها مصنّفة تحت عنوان نقد النّقد، ومع ذلك يتمحور محتواها بشكل رئيسي حول الممارسات التّطبيقية لهذا المصطلح دون الانخراط في النّظريات المرتبطة به، وهذا ما نجده في كتاب حبيب مونسي الموسوم "نقد النّقد، المنجز العربي في النّقد الأدبي: دراسة في المناهج"، إذ أنّه على الرّغم من أنّ عنوان كتابه يحمل

مصطلح "نقد النّقد"، إلّا أنّ محتواه تركّز بشكل أساسي على التّطبيقات العمليّة لهذا المفهوم، دون التعمّق في المفاهيم الأساسية المرتبطة بالمصطلح.

ولقد حاول النّاقد استدراك الأمر في كتابه "فعل القراءة النّشأة والتحوّل: مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض"، حيث كان وقوفه عند حدود المصطلح والنظريّة المتعلّقة به بشكل عارض، وقد استبدل فيه مصطلح "نقد النّقد" بمصطلح "فعل القراءة" أو "قراءة القراءة"، وجعله في المرتبة الثّالثة من النّاحيّة الإبداعية (القسنطيني، 2009، صفحة 35)؛ إذ يقول : "وقراءة القراءة، تقع في المرتبة الثّالثة من النّص الإبداعي؛ ذلك لأنها تقوم على قراءة أخرى تبحث في خطواتها، وأدواتها، وكيفيات إنتاجها للمعنى، وتوسيع حدود الأثر" (مونسي، 2001، صفحة 64). ويعرّف قراءة القراءة كذلك بأنّها: "نشاط يتشكّل حول قراءة سابقة، يقوم فيها مقام المفسّر لمجملها، الباسط لإجمالها، الهادي إلى آلياتها، الكاشف عن منطقها الداخلي" (مونسي، 2001، صفحة 64).

كما يُشير حبيب مونسي في هذا الكتاب إلى أهميّة نقد النّقد في الحركة الأدبيّة والنّقدية، حيث صار يُشكّل اهتماما جديدا في النّشاط الأدبي الحديث، باعتبار أنّ فعلها لا يقتصر على الأثر الفني من خلال هدم المنجز وتفكيك آلياته، بل يتجاوز الحكم النّقدي التّقليدي إلى تقدير الفعل القرائي الجاد، ويعني هذا أنّ نقد النّقد أو قراءة القراءة يركّز على مراجعة القول النّقدي وفحصه؛ بمعنى مراجعة مبادئه الأساسية وأدواته الإجرائية، مما ساهم في منحه مكانة كبيرة في السّاحة النّقديّة العربيّة.

أما إذا تحدّثنا عن ممارسة النّاقد لنقد النّقد، فإنّ جهوده كانت مميّزة، حيث قام بتتبّع المناهج والنّظريات النّقدية التي اعتمدها النّقاد العرب في العصور القديمة والحديثة، معتمدا على الفحص والتّدقيق والتّحليل كأسلوب أساسي في هذه المدوّنات النّقدية، وخاصة في كتابه "فعل القراءة النّشأة والتّحوّل"، الّذي حاول من خلاله رصد معالم النّقد العربي لأغراض التّقويم والإصلاح؛ إذ يقول: "لقد تتبّعنا في هذه الدّراسة المناهج السّياقية منهجا منهجا، وأنهينا كل فصل بحصيلة من المآخذ، وبيّنا الخلل في الفهم والنّقل، كما بيّنا نوعية الإضافة التي قدّمها هذا النّقد. وتركنا للقارئ أن يخرج من هذه الدّراسة بشعور يدفعه إلى ضرورة العودة من جديد إلى المعارف الإنسانية للاستفادة منها، ولكن بطريقة أخرى، طريقة لابد لها من وضوح الرؤية، والابتعاد عن الأحكام النهائية الجازمة" (مونسي، 2001، صفحة 65).

2.3 الممارسة الإجرائية في كتاب "نقد النّقد، المنجز العربي في النّقد الأدبي":

عكف مونسي حبيب في كتابه "نقد النّقد، المنجز العربي في النّقد الأدبي" على مقاربة العديد من المدوّنات النّقدية العربيّة، من خلال جملة من الطّرائق، وآليات الفحص والتّحليل والتّوضيح والتّقويم لممارسات النّقد العربي، حيث سعى إلى تفكيك الغموض المحيط بالمناهج النّقدية، ودرس تحوّل النّقد من المفهوم الغربي إلى المفهوم العربي، ومدى تقديم النّقد العربي لتلك الإضافات، الّتي

حفّزت القارئ العربي على استعادة المعارف الإنسانية لإعادة النّظر في الإبداع الأدبي بعيدًا عن الاستنتاجات النهائية، وقد اضطر في سبيل ذلك إلى تقسيم كتابه إلى ستة فصول.

قدّم النّاقد في الفصل الأول مجموعة من المفاهيم حول التّقاليد القديمة للقراءة العربية وتنوّع أساليبها، فإذا بحثنا عن البداية الأولى للنّقد العربي نجده كان ذاتيا يعتمد على الذّوق، ذلك الذّوق يختلف باختلاف النّقاد ومشاربهم، فالكثير من النّقاد اهتموا بعناصر الجودة في الشّعر، ومميّزات الشّعراء، وهذا ما ساعدهم في استنباط أصول النّقد، وتأسيس مفاهيم نقديّة عربيّة، ذلك أن الانطباع الّذي اعتبره حبيب مونسي من مميّزات النّقد في بدايته، قد يصبح معرفة تزيح غموض النّص، دون أن يرقى إلى التّعليل العقلي، فهو نزوع في أشكال متعدّدة، تهتز النّفس له وترتاح، استنادا إلى مرجعيات متراكمة صنعتها طبيعة المجتمع، وقيمته وأعرافه فما الانطباع إلّا تلك الأحاسيس التي يتركها قراءة النّص الأدبي في نفسية القارئ، وهو ما نجده حاضرا في النّقد العربي القديم. (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 07)

كما يبحث النّاقد في ذات الفصل عن أصول القراءة العربية، وقيمتها عبر الزّمان، حيث اختلف الدّارسون حول نوع المعرفة في النّقد العربي القديم بين الشّفوية والارتجال التي تميزت بها فترة الجاهلية، وبين الرّؤية والتأمّل والتّأسيس الّتي ارتبطت بها فترة التّدوين، ذلك أنّ عمليّة تدوين المعارف والعلوم العربيّة شملت الفترة الزمنيّة السّابقة والحاضرة للعرب، إذ بادر الرّواة إلى استكشافها في القبائل المتفرّقة، وعادوا بمجموعة من المعارف الشّفويّة وصنّفوها. والمعروف أنّ عدم اهتمام المصنّفين بأهل الحضر وعدم رغبتهم في التعامل معهم يرجع بالأساس إلى صراع بين لغة الماضي ولغة الحاضر، ومن هنا فقد تمسكت الرّؤية النّقدية باللّغة الجاهلية، الّتي لم تدم طويلاً وانتقلت بعدها إلى مرحلة جمع اللّغات وصهرها مع حاضر الأمّة، وهو ما أفرز انقسام الحركة الفلسفية والعلمية إلى جهتين: أما الأولى فهي جهة الماضي العربي الّتي تستقل الثّابت وتعمل على تجميعه، وأما الثّانية فتنفرد بالمتحوّل تصطنع له علم الكلام، والحجج العقلية ، وبذلك تأرجحت القراءة العربيّة بين المحافظة على الأصول في الرؤى النّقدية، والبحث عن التّجديد (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 23) .

بعدما تحدّث حبيب مونسي عن أصول القراءة العربيّة، انتقل إلى الشّروط الواجب توفّرها ليتحقّق منهج القراءة، وهي: التّذوّق والتّفسير والتّعليل والحكم، ثم انصرف إلى التّأكيد على "البحث في مشكلات النّقد، ابتداء من ماضيه إلى حاضره، وللتدّرج الزّمني سلطة في ترتيب تعاقبها، ولقانون التّطوّر حق في صياغة إشكالياتها" (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 26) ، وقد حدّد تلك المشكلات كالتالي:

أ–الفحــولة: وهي مظهر من مظاهر النّقد استخدمه النّقاد كأن يقول: فحول وفحل، اهتم به الأصمعي وابن سلام الجُمحي.

ب–القديم والجديد: وهذا قائم على اختلاف الزّمن وتغير الأحوال، وبالتالي اختلاف التّفكير والذّائقة.

ت–الطّبع والتّكلّف: وهي قضيّة نقديّة أسهب النّقاد العرب في العصر القديم في الحديث عنها، ذلك أنّ الطبع من سمات الشعر، وقد طغى عليه طابع التكلّف الذي هو مشكلة من مشكلات القراءة.

ث–سلطة القارئ: يملك القارئ سلطة في تلقّي القراءات والحكم عليها، وهذا ما وضّحه حبيب مونسي عندما مثّل بصورة القارئ لدى ابن سلاّم الجُمحي، فهي واضحة بالنسبة له، باعتبار عباراته التي جعلت العلم والقراءة لا يستندان إلى صدفة ولا إلى علم، وإنما يرجع إلى أمر مغيب في الذّات، وهذا ما فتح المجال أمام كل قارئ عاشر النّصوص أن يكون قارئا لابن سلام، وتتحدّد

سلطة القارئ عنده من خلال سلطة قارئ الحديث الذي قرّر صحّة النّص (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 30)، وبهذا يكون النّاقد قد بيّن سلطة القارئ المهمّة، ودورها في معالجة العديد من القضايا النّقدية.

ج- منابت المصطلح: أقرّ حبيب مونسي بدور البيئة في صنع المصطلح، والتّطوّرات الّتي تلحق به، حيث لم يسلم المصطلح النّقدي الذي اعتمدته القراءة القديمة من أثر التحوّل، وإن تميّزت بشيء من الصّلابة والثّبات" (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 31) ، ودليله في ذلك ما كان عند خليل بن أحمد الفراهيدي، الّذي قام بإنشاء علم العروض، فكرّس جهوده لفتح باب المصطلح في هذا المجال، مع الانتباه إلى البيئة التي أنبتت المصطلح، وأثّرت في تطوّر الشّعر العربي.

ثم استعرض حبيب مونسي آليات القراءة العربيّة، وكيف تجلّت لدى كل ناقد عربي، وقدّم تفسيرات لتباين هذه الآليات بين النّقاد، باعتبار اختلاف الثقافات والأديان، مستدلا بحضورها عند العديد من النّقاد كابن سلام الجُمحي، والآمدي، والقاضي الجرجاني، ومشيرًا إلى كيفية تطبيقهم لهذه الآليات في تحليل النّصوص الشّعرية، ومدعّمًا قراءته بالأدلة والحجج والبراهين.

كما أكّد مونسي على تأثّر النّقاد المحدثين بسابقيهم التّراثيين في تعدّد قراءاتهم للنّصوص، حيث يقول: "وربما شكّل ذلك في التّراث العربي آية تعدّد القراءة للنّص الواحد، إذ تأخذ القراءة طرقا معلومة إلى النّص، فذي نحوية وأخرى أدبية، وثالثة بلاغية، وربما كان داخل كل صنف شعب مفضية إلى الحقيقة الأدبية في النّص المدروس: فالقراءة إعادة إنتاج المقروء، فهي أكثر مظهر التّناص مشروعية، والقراءة المتميّزة هي إذن ضرب من التّناص. والقراءة التي لا توحي بالقراءة هي قراءة ميّتة أو لاغية. ولهذا السبب وجدنا تواصلا فكريا بين النّقاد، ابتداء من الأصمعي الذي نفث في روح ابن سلام مقولة الفحولة والآمدي والجرجاني وعبد القاهر، صورة النّاقد المتخصص" (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 31) .

أما الفصل الثّاني من هذا الكتاب فقد خصّصه لتناول العلاقة بين النّقد والسّياق التّاريخي، فالقراءة التّاريخية شاهدة على تلاحم التّاريخ والنّقد الأدبي، تلك القراءة الّتي تصف مراحل الأدب وتطوّره، وتقف عند سيرورته التّاريخية، على الرّغم من المزالق الّتي تطبعها، كالاستقراء النّاقص، والأحكام الجازمة، والتّعميم العلمي، وإلغاء الذّاتية، والّتي يرجعا النّاقد في الأساس إلى أنّ: "المقارنة الأوليّة بين التّنظير الغربي للقراءة التّاريخية والتّطبيق العربي لها، تكشف عن مفارقات منهجيّة لها ما يبرّرها من عدم تمثّل الجانب النظري وهضمه، إما لتزامن التّأليف النّظري والإجراء التّطبيقي عندنا، وإما لغلبة تصوّرات قبلية تمليها كلمة التّاريخ السّابقة لكلمة أدب، ممّا يجعل الالتفات إليه أولى الغايات. كما تكشف القراءة الجادة لهذه الكتب، عن مزالق خطرة جنت على البحث الأدبي، وعطّلت تطوّر القراءة وانفتاحها على التنوّع (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 60).

ثم انتقل حبيب مونسي إلى فصل آخر، وفيه أفرد الحديث عن القراءة الاجتماعية، وشرح كيف استطاعت هذه القراءة أن تخرج الأدب والنّقد من المثالية، باعتبار أنّ الأدب يعبّر عن الحياة والمجتمع، وأنّ وعي الناس يُحدّد وجوههم في هذه الفلسفة، فالوضع الطّبقي للأديب يحتّم عليه أن يحمل أفكار طبقته، ويعبّر عن مواقفه (قطوس، 2006، صفحة 61)، ذلك أنّ الواقعية تزخر بالقدرة الذّاتية على الخلق والإبداع، وهي تعكس تطلّعات المجتمع من خلال الرّسالة الملتزمة، ومسح الصّراع الطّبقي، وإذابة الفروق، لتصل إلى واقع واحد تجري سننه على كافة الطّبقات (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 71).

رصد حبيب مونسي مجموعة من المآخذ التي تشكّل منطلقًا للقراءة الاجتماعية، وهي كما يلي:

1. التأكيد على أنّ الفكر هو واقع.
2. اعتبار الواقع مجبرًا.
3. النّظر إلى الأدب على أنّه وسيلة.
4. الاعتراف بأنّ الصّراع هو المقوّم الأوّل.
5. تأييد مبدأ الالتزام.
6. الاعتقاد بوحدانية النّاتج.
7. التركيز على عتبة الشرح والحكم كمحور (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 102).

وجاء الفصل الرّابع من الكتاب مُركّزا على المنهج النّفسي في النّقد، وهو الّذي ظهرت ملامحه وإرهاصاته في النّقد العربي القديم، حيث كان النّقاد يولون اهتمامًا لوزن الشّعر وتأثيره على النّفس، والمثال على ذلك ما كان عند ابن رشيق القيرواني، صاحب كتاب "العمدة"، الّذي جعل الجانب النّفسي مقياسًا أساسيًا لنقد الشّعر، وقد أكّد ذلك حبيب مونسي في قوله بأنّ التّراث لا يخلو من تلك النّظرات الحادقة التي تدلّ على الخبرة النّفسية الإنسانية، ومدى تأثّرها على الشّعر (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 106) .هذا في النّقد القديم، أما في النّقد الحديث فقد أكّد أنّ القراءة النّفسية امتدّت مفاهيمها ولم تنقطع، بل أخذت طابعا أعمق، وذكر في ذلك بعض النّقاد الذين اعتمدوا المنهج السيكولوجي كوسيلة لفحص النّصوص الأدبية، ونفسية المؤلّف، وتحضير القارئ لاستقبال النّص الأدبي، ومن بينهم: "المويلحي"، "المازني"، و"العقاد" (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 125).

بعد مناقشته في الفصول السّابقة للقراءة السّياقية، انتقل حبيب مونسي إلى مناقشة "القراءة النّسقية" في الفصل الخامس، حيث عرّفها وأبرز كيف ظهرت وتناول مميّزاتها، والأخطاء والعيوب التي وقعت في تطبيق آلياتها، مع التّركيز على مفهومها الغربي وانتقالها إلى الفهم العربي، كما ناقش كيفيّة تلقّي النّقاد العرب هذه الرؤية في جهودهم لفهم النّص الأدبي (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 125)، وركّز على أهميّة هذه القراءة في استكشاف العلاقات بين اللّسانيات، والأدب، والنّقد، والسيميائيات، والأسلوبيات، والمنطق، حيث تنطلق جميعها من أساس مشترك واحد وهو اللّغة، فالتّرابط بين اللّسانيات والنّقد يظهر بشكل واضح؛ فهما يتقاطعان مشكّلان حقلا متاخما للتّبادل النّفعي المثمر، فاللّسانيات تحليل وتفكيك للّغة، والنّقد الأدبي هو الآخر تحليل وتفكيك للأدب الذي يقيم اتّصالا جماليا متّخذا من اللّغة أداة ومنطلقا في ذات الوقت، فالمهمّة واحدة والسّبيل واحد (مونسي، نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج، 2014، صفحة 150).

اختار النّاقد في الفصل السّادس والأخير من كتابه استكمال القراءة اللّسانية، بتناوله البنيويّة العربيّة؛ الّتي تشكّلت بحسبه من ثلاث تيارات متزامنة، استمدت معظم مفاهيمها من النّقد الغربي ومدارسه الأوّل: البنيويّة الشّكلانية، والثّاني: البنيويّة التّوليديّة، والثّالث: البنيويّة الأسلوبية، إذ تتشابه هذه التّيارات في هجومها الشّديد على المناهج التّقليدية، وتسعى جميعها لطي الصّفحة النّقدية القديمة، واقتراح نهج جديد محمّل بالعلميّة والموضوعية، هدفه الرّئيس وصف الأثر الأدبي وكشف مكوّناته، سواءً بالتّحليل اللّغوي أو إعادة بناء النّص من جديد، وقد قام حبيب مونسي بدراسة أبرز قراءات البنيويين العرب، ومن بينهم "عبد المالك مرتاض" الذي استعرض الشّكلانية، و"محمد برادة" الذي تناول البنيويّة التّوليدية، و"صلاح فضل" الّذي اهتمّ بالبنيويّة الأسلوبية.

في الختام يمكن القول إنّ حبيب مونسي قام بدراسة شاملة للكثير من المدوّنات النّقدية العربيّة في هذا الكتاب، حيث استعرض المناهج والقراءات النّقدية القديمة والحديثة بهدف التّقويم والإصلاح. وهذا من صميم ممارسته لنقد النّقد تنظيرا وتطبيقا.

خاتمة:

أخذ نقد النّقد تمظهرات متعدّدة سواء من ناحية التّنظير أو التّطبيق، وقد اشتغل عليه عدد من النّقاد العرب من بينهم النّاقد حبيب مونسي، الّذي كان موضوع دراستنا، وقد أسفر هذا البحث على نتائج نجملها فيما يأتي:

– إنّ المتأمّل في مسار النّقد الأدبي العربي القديم يتضّح له أنّ هنالك شكلا من أشكال نقد النّقد، ويمكن إرجاع البدايات الأولى له إلى بواكير تشكّل النّقد الأدبي نفسه عند العرب.

– يعدّ الناقد حبيب مونسي من بين الأعلام الذين اشتغلوا على نقد النّقد، حيث تمحورت دراسته في هذا المجال حول الممارسة التّطبيقية لنقد النّقد دون التّنظير له، أما من ناحية التّعريف به فقد أورد بعض المفاهيم في كتابه "فعل القراءة النّشأة والتّحوّل" باستخدامه لمصطلح "فعل القراءة" أو "قراءة القراءة" مقابل "نقد النّقد".

– اتخذ النّاقد حبيب مونسي من نقد النّقد درسا يعتمد عليه في قراءة وتفسير النّظرية النّقدية العربيّة وهذا ما تجلى في كتابه "المنجز العربي في النّقد الأدبي" حيت تتّبع فيه بالرّصد والتّحليل والتّمثيل المناهج والقراءات النّقدية قديما وحديثا.

– أشار حبيب مونسي في كتابه إلى أنّ القراءة العربية القديمة التي سادت في العصور القديمة اتّسمت بالطّابع الانطباعي والذّوقي، وأنّ الآليات التي شكلّت جوهر الممارسة النّقدية التّقليدية تمثّلت في الاستحسان الذّوقي واعتماد النقّاد على المفاضلة بين الشّعراء أو النّصوص وغيرها من الآليات التي اعتبرها مونسي غير كافية لتأسيس وعي نقدي متكامل.

– تناول حبيب مونسي المناهج السّياقية بوصفها إحدى الرّكائز الأساسية التي استند إليها الخطاب النّقدي العربي في مرحلته الحديثة خاصة بعد انفتاحه على المنجز الغربي.

–تطرّق حبيب مونسي أيضا إلى المناهج النّسقية مقدّما قراءة نقدية دقيقة تكشف عن تمثّلها في النّقد العربي المعاصر ومآزق تطبيقها.

المصادر والمراجع:

بسام قطوس. (2006). *المدخل إلى مناهج النقد المعاصر*. الإسكندرية: دار الوفاء.

حبيب مونسي. (2001). *فعل القراءة النشأة والتحول، مقاربة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد المالك مرتاض*. وهران، الجزائر: دار الغرب .

حبيب مونسي. (2014). *نقد النقد المنجز العربي في النقد الأدبي، دراسة في المناهج*. الجزائر: دار التنوير.

عبد الرحمان ابن خلدون. (1984). *تاريخ ابن خلدون*. بيروت: دار القلم.

عبد المالك مرتاض. (2005). *في نظرية النقد، متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها*. بوزريعة، الجزائر: دار هومة.

محمد مصايف. (1984). *النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

نجوى القسنطيني. (2009). في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره. الكويت، *مجلة عالم الفكر*(المجلد08، العدد1).

يوسف وغليسي. (2002). *النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية*. الجزائر: رابطة إبداع الثقافة.

References :

Bassām Qaṭṭūs. (2006). al-Madkhal ilá Manāhij al-naqd al-mu‘āṣir. al-Iskandarīyah : Dār al-Wafā’.

Ḥabīb Mūnsī. (2001). fi‘l al-qirā’ah al-nash’ah wa-al-taḥawwul, muqārabah taṭbīqīyah fī qirā’ah al-qirā’ah ‘abra a‘māl ‘Abd al-Mālik Murtāḍ. Wahrān, al-Jazā’ir : Dār al-Gharb.

Ḥabīb Mūnsī. (2014). Naqd al-naqd al-munjaz al-‘Arabī fī al-naqd al-Adabī, dirāsah fī al-Manāhij. al-Jazā’ir : Dār al-Tanwīr.

‘Abd al-Raḥmān Ibn Khaldūn. (1984). Tārīkh Ibn Khaldūn. Bayrūt : Dār al-Qalam.

‘Abd al-Mālik Murtāḍ. (2005). fī Naẓarīyat al-naqd, mutāba‘at li-ahamm al-Madāris al-naqdīyah al-mu‘āṣirah wa-raṣd li-naẓarīyātihā. Būzuray‘ah, al-Jazā’ir : Dār Hūmah.

Muḥammad maṣāyif. (1984). al-naqd al-Adabī al-ḥadīth fī al-Maghrib al-‘Arabī. al-Jazā’ir : al-Mu’assasah al-Waṭanīyah lil-Kitāb.

Najwá al-Qusanṭīnī. (2009). fī al-Wa‘y bi-muṣṭalaḥ Naqd al-naqd wa-‘awāmil ẓuhūrihi. al-Kuwayt, Majallat ‘Ālam al-Fikr (almjld08, al‘dd1).

Yūsuf Waghlīsī. (2002). al-naqd al-Jazā’irī al-mu‘āṣir min al-Lānsūnīyah ilá al-alsunīyah. al-Jazā’ir : Rābiṭat Ibdā‘ al-Thaqāfah.